

ما نصه "هنا مجال واسع للباحث النفسية تتمكن بوسن معرفة عقل الحيوان الاعجم . وعندني انسان نتخيل طباعه الى طباع ديك حينما ينام النوم المغنطيسي . وقد امرت مرة ان يبق متذكراً وهو مستنبط المحاله التي كان فيها وهو نائم ثم ايقظته وسألته عن سبب صحابه فقال كنت مضطراً الى ذلك فقلت وبماذا كنت تنكر فقال كنت افكر بدجاجاتي". وقد اشتم الكاتب جميع العقاقير الطبية في الاشخاص الخمسة الذين اشتم ذلك فيهم الدكتور ليس مدة سنين كثيرة وبلا الكتب والمجرائد باخاديعهم واخاديعهم فوجدتم الكاتب خادعين عن علم وروية اي ان كلاً منهم قد تعلم خواص هذه الادوية المختلفة وفعلها في البدن فاذا لمس بقية منها اظهر الاعراض التي تنتج عن الدواء الذي بطن انه فيها سواء اصاب ظنه ام لم يصب . ومن الغريب انه لم يصب ظن احد منهم قط في الامتحانات التي اشتمها الكاتب فيهم لانه كان يكتب على القنبنة مذوب ملح الزئبق مثلاً وفيها مذوب السكر او يكتب مذوب السكر وفيها مذوب الاستركين ولم يخطر على بال هؤلاء الاشخاص ان الكاتب خدعهم بما كتبه على اللثاني فكانوا يظنون اعراض الدواء الذي يرون اسمه على القنبنة هذه خلاصة الاخاديع التي تجري الآن في مدينة باريس عاصمة المدينة الاوربية وفي اكبر مستشفياتها وعلى يد بعض الاطباء المشهورين فيها . وان ذلك لدليل على ان الخفاقة مرتبطة بعقول بعض الناس سواء كانوا في قنار افريقية او في اعظم نوادي العلم والعرفان . ولا يفرق المتحضرين عن الهيج الا في ان علماء المتحضرين وفضلاءهم يكشون خداع الخادعين وينفذون الناس من غيهم

مزاج الساميين و بدهاتهم

قال العلامة رنان الفرنوي في كتابه تاريخ اللغات السامية "ان الشعوب السامية محرومة من الظرف والمزاج" وقد ردّد هذا القول كثيرون من الكتاب قبل رنان وبعده حتى زعم بعضهم انه طاف بلاد الشام فلم يسمع فيها من الاغاني غير الندب والرناء . وهذا المحكم مثل كل الاحكام المبينة على الاستنراء الناقص والبعث القليل يصدق مرة ويكذب مراراً

ولا تنكر ان البلايا والحزن التي اتت مواطن الساميين منذ التي عام الى الآن ذهبت بكثير من بجهة الحياة ورونتها وسلامة الطبع ورقوتها وان اختلاط العرب بالهنود والنرس

زاد في رصانتهم ووقارهم ولكنهم لم يغب طبعهم ولا تزع منه الظرف والميل الى المزاج كلما اقتضته الحال على حد قول البستي

أند طبعك المكدود بالمراحة براح وعلة بشيء من المزاج
ولكن اذا اعطيت المزاج فإيكن بمقدار ما تعطي الطعام من المزاج

وغاية ما اشار به حكاهم وفضلاتهم الاقتصاد في المزاج . قال سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزاجك فان الافراط فيه يذهب اليه ويبرئ السنه وتتركه يقبض الموائمين ويوحش المغالطين . وقال خالد بن صنوان لا بأس بالمأكلة تخرج الرجل من حال العيوس . وقال رجل لابن عيينة المزاج سبة فقال بل سنة وقال الشاعر

المجد شينة وفيه فكاهة طوراً ولا جدان لم يلعبر

وقال الآخر

اهزل حيث الهزل بحسن بالنفي واني اذا جد الرجال لدو جدي
وعن علي رضي الله عنه انه قال روح القلوب بطرائف الحكم فاعلم كل كمال
الابدان . وقال ابو الدرداء اني لاسخيم نفسي بشيء من الباطل كراهة ان احملها من الحق ما يحملها . وعن ابن عباس انه كان يحدث اصحابه ساعة ثم يقول حضونا فيأخذ في احاديث العرب وأشعارهم . ووصف رجل عند ابن عائشة فيقول هو جد كلة فقال ابن عائشة لقد احان على نفسه وقصر لها طول المدى وارقتكها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى المجد بنشاط . وقال بعضهم

اروح القلب ببعض الهزل فجاهلاً مني بغير جهل
امزج فيه مزاج اهل النضل والمزج احياناً جلاه العقل

ولا ينكر انه قد نهي عن المزاج في مواضع كثيرة وقيل ان اوله فرح وآخرة ترح وانه بيدي المهابة ويذهب المهابة والغالب فيه واطر والمطلوب نادر . الا ان ذلك يدل على وجوده والاسترسال فيه لا على انتفاءه عن الامم التي نهت عنه . ولعل النهي مقصور على الاسترسال والمخلعة على حد قول بعضهم

امزج بمقدار الطلاقة واجنب مزجاً تضاف به الى سره الادب
لا تغضب احداً اذا ما زحمت ان المزاج على مقدمة الغضب

فان المازج قد يستعمل تمزيق الاعراض على حد قول ابي جعفر البصري

لي صاحب ليس يخلو لسائه من جراح
يحيد يمزق عرضي على سبيل المزاح

وإذا انتقلنا من الأقوال والأحكام إلى الأمثلة والشواهد ضاقت بنا الصحف فإن كتب
الأدب مشحونة بالفكاهات واللاطائف والملح والذوادر وكلها ممتلئة بلج المزاح ممتلئة بمجاض
المزحل يضحك الصبوس وينهش النفوس . ولا يقتصر ذلك على المشهورين بالمزاح والمجون كإبي
نواس وإبي دلالة بل على المشهورين بالعلم والوفار . روى الأبيهي أن الرشيد وزيدة تحاكما
إلى أبي يوسف الناضي في الفالوجج واللوزنج أيما أطيب فقال أنا لا أحكم على الغائب
فأمرنا بانقاذها وتقدمها اليو فعمل يأكل من هذا من ذلك ومن ذلك أخرى حتى نصف الجمام
ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت عدل منها كلها أردت أن أسبل لاحدها أدلى الآخر بمجرب
ولم تكن البلايا والهن لتصرف الظرفاء منهم عن ظرف الطبع وحنن العبيبة . ذكر
النواحي أنه أتى رجل سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد عليه وكان الرجل طويلًا
والجلد قصيرًا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلود تقاصر لينالك الضرب فقال له ويلك
أ إلى أكل الفالوجج تدعوني ولقد وددت لو أني أطول من عروج بن عناق وأنت أقصر من
يا جوج وما جوج . وذكر ابن عبد ربه أن المهدي كما أبا دلالة ساجًا فأخذ به وهو سكران
وأثبى به إلى المهدي فأمر بترقيق الساج عليه وإن يجس في بيت الدجاج فلما صيما من سكره
طلب دواء وكتب إلى المهدي يقول

أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حببتي وخرقت ساجي
أفاد إلى السمون بنير ذنب كاتي بعض عمال الخراج
ولو معهم حببت طان ذاكم ولكني حببت مع الدجاج

وقيل دخل بشار الضرير على المهدي وعنده حالة يزيد بن منصور الحميري فأنشد
قصيدة يمدحها فلما انتهى قال له يزيد ما صنعك أيها الشيخ فقال له أنتب اللؤلؤ .
فقال له المهدي اهزأ بما لي فقال يا أمير المؤمنين ما يكون جوابي له وهو يراني شيخًا أعمر
يشد شعرًا . وذكر بهاء الدين أن أبا الشمقق الشاعر المشهور لم يبتئ لاطار رثة كان
يسخمي أن يخرج بها إلى الناس فقال له بعض أخوانه يعلو بأبشرا أبا الشمقق فذو روي
أن العارفين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فقال إن كان ذلك حقًا فاني لا كونن بزارة
(يباع البز) يوم القيامة

وقيل إن سليمان بن عبد الملك خرج يوماً إلى الصيد وكان كثير التطير فبينما هو

في بعض الطريق اذ لقيه رجل اعور فقال اوثقوه فاوثقوه ومروا به على يثر خراب قد
تجهمت فقال سليمان التيمي في هذه البئر فان رأيت تلك البئر فافقوه في تلك البئر فان رأيت
لنا مع علمه بتطيرنا فافقوه في تلك البئر فان رأيت تلك البئر فافقوه في تلك البئر فان رأيت
فلما رجعوا ومروا على الرجل امر باخراجه وقال يا شيخ ما رأيت امر من طلعتك علينا
فقال الشيخ صدقت ولكنني انا ما رأيت امر من طلعتك علي

وكسب سبط بن النعمان الشاعر قصيدة وسيرها الى مجاهد الدين الزيني فاجازة
جائزة سنة وسيرمها بغلة فوصلت اليه وقد هزلت من تعب الطريق فكتب اليه

مجاهد الدنيا دمت ذخرًا لكل ذي فائز وكترًا

بمنت لي بغلة ولكن قد سحبت في الطريق عترة

ومن ملح الشعراء التي يعد منها ولا تمدد قول البحتري وقد دخل على المتوكل فرأى في
يديه درنين فادام النظر اليها ورآه المتوكل فرمى اليه التي في يده اليمنى فقال طامعًا بالدره
الاخرى ايضا

بسر مرًا لنا امام تعرف من كفه الجار

بداه في الجود ضرتان هنيء على من تغار

وليس تأتي اليه شيئًا الا انت مثل اليمار

فرمى له بالدره الأخرى

ومنها قول ابن ابي عمير في رجل دعاه الى طعام ثم اخر الطعام الى المساء

يا صاحب البيت الذي ضيفانه ماتوا جميعًا

أدعونا حتى نوت بدائنا عطشًا وجوعًا

وبداة العرب تضرب بها الامثال وتكلمهم تروى بالدرر الغوال وكان البيان بسحرهم
فينقادون اليه صاغرين والشعر يجناب لهم فيرون فيه حكمة الراحمين . قيل دخل عتيل
بن ابي طالب بعد ما كتف بصره على معاوية يومًا فقال ما بالك تصابون في ابصاركم يا بني
هاشم قال كما تصابون في بصاركم يا بني امية . وقال عبد الله بن طاهر لرجل ما بال شدفتك
معرجًا قال عنوبة عاقبتني الله بها لكثرة نثائي عليك بالباطل . وقيل حضر بين يدي الرشيد
بعض اهل المغرب فقال له الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذئبه المغرب فقال الرجل
صدقوا يا امير المؤمنين وانه طاووس

وذكر ابن قتيبة ان الحجاج خرج في بعض الايام للنزهة . فصرف عنه اصحابه وانفرد

بنفسه فلاقي شيخاً من بني عجل . فقال له من اين انت يا شيخ . قال من هذه القرية . قال ما رأيكم بحكام البلاد . قال كلهم اصرار بظلمت الناس ويخلصون اموالهم . قال وما قولك في الحجاج . قال هذا نجس الكل سود الله وجهه ووجه من استحله على هذه البلاد . فقال الحجاج اعراف من انا . قال لا . قال انا الحجاج . قال انا فذاك وانت تعرف من انا . قال لا . قال انا زيد بن عامر مجنون بني عجل اصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة . فضحك الحجاج واجازة

وقال الثريثي كان المعتصم يأنس بعلي ابن الجعيد الاسكافي . فقال لابن حماد اذهب اليه وقل له بنتاً ليزامني . فاقاه فقال له نبياً لمزاملة امير المؤمنين فان مزاملة المخلفاء كثيرة . فقال كيف اتيها لها اصب رأساً غير رأسي أم اشترى ليحبة غير لحيتي . قال ابن حماد شروطها الامناع بالحديث والمداكن والمنادمة . وان لا تبصق ولا تمعل ولا تمخط ولا تنمخ . فقال لابن حماد اذهب قل له لا يزمالك الا من كان دينه الاصل . فرجع الى المعتصم واعلمه فضحك وقال عليّ به . فلما جاء قال يا عليّ ابعث اليك ان تزامني فلا تفعل . فقال له ان رسولك هذا الارعن جاءني بشروط حسان السامي وخالويه الحماكي . فقال لا تبصق ولا تعطس . وجعل يترقع بصاداته وهذا لا اقدر عليه . فان رضيت ان ازاملك انا انتني العطسة عطست والا فليس بيني وبينك علة . فضحك المعتصم حتى فحس برجله . وقال نعم زامني على هذه الشروط

وقال هلال الراثي لشار الشاعر وكان له صديقاً يمازحه . ان الله لم يذهب ببصر احد الا عوّضه بشيء فاعوّضك . قال ان لا اراك ولا امالك من النفل . ولما بنى محمد بن عمران قصرة حبال قصر المأمون قيل له يا امير المؤمنين باراك وبامالك فدعاه وقال لم يبيت هذا القصر حذائي فقال يا امير المؤمنين احييت ان ترى نعمتك عليّ فجعلة نصب عينيك . ومن هذا التليل المناظرات المشهورة بين شعراء العرب والقصائد المزلّة التي نظموها في رثاء دولهم وامتعتهم وبعض اشياهم كرفاه ابن العلاف لمروحيقة او كناية ورثاء ابن مععة الحمصي لديكوه ونحو ذلك مما يطول شرحه . هذا من قبيل العرب والمستعربين وقد بقي من الساميين امة اخرى كان لها شأن عظيم في المصور الخالية ولم يزل شأنها كبيراً الى الآن وهي امة اليهود . وقد قال كاريل الكاتب الانكليزي الشهير انها بعيدة عن المزاج والبداهة فرد عليه هرون ادلر الحاخام الاكبر في بلاد الانكليز وخطب في اوائل هذا العام خطبة مسبهة في هذا الموضوع ذكر فيها من مزاج

اليهود ما يضحك التلكي مع ما ألم بهن الامه من البلايا والهن . ولم يقتصر الخطيب على ما في كتب اليهود واسعارهم وامثالهم من ضروب المزاج والبداهة بل قال ان ما ورد في التوراة من تمهك النبي ايليا على كهنة بعل يمكن حسابه من هذا القليل وكذا وصف النبي اشعيا لعل الاصنام . وقال ان طبع اليهود هذا قد ظهر في اشد المواقف رهبةً وغمًا ففي مرثي ارميا تندب النبي مدينة اورشليم وقال انها " عظيمة بين الامم ملكة بين البلدان " وشرح ذلك احد ائمتهم الاقدمين في كتابهم التلود فقال ان عظمتها لم تكن في القوة المادية بل في العقل والذكاء وضرب لذلك مثلاً وهو ان رجلاً من سكان اثينا كان ماراً في اسواق اورشليم فرأى خياطاً يلى اذا نجت لي ما ارفاهه من هذا الرمل . وقال هذا الشارح ان الربى بشوع احد حكماء اليهود دخل مدينة من مدنهم فرأى ابنة صقيرة معها سلة مغطاة بتدليل فقال لها اخبرني يا ابنتي ما في هذه السلة فقالت له لو ارادت امي ان يعرف كل احد ما فيها ما غطتها بهذا الغطاء

وجاء في كتاب التلود ايضاً ان الامبراطور هديران كان يباحث الربى غملاييل في بعض المسائل الدينية فقال له ساخرًا بالتوراة انها تصف الله تعالى كما تصف اللصوص لانها تقول انه نوم آدم واخلس ضلعاً من اضلاعه . وكانت ابنة الربى غملاييل حاضرة فاستأذنت اباها بان تجيب الامبراطور فاذن لها فقالت للامبراطور غملاً يا مولاي ألم يبلغك ان لصاً تقب بيننا وسرقه فقال ومن يكون هذا اللص الذي يجمر ان يدخل بيت صديقي غملاييل فقالت انه دخل بيننا وسرق منه ابريق فضة ووضع مكانه ابريق ذهب . فقال هديران انهم يوم من لص وجدا لودخل قصرى لص مثل هذا كل يوم فقالت له الفتاة وقد علمنا حجرة الخجل هكذا فعل الله اخذ ضلعاً من آدم وبدلها له بزوجة حسنة .

ثم قال الخطيب واذا تركنا التلود ونظرنا في الكتاب المتأخرين وجدنا كتبهم وانما لهم لا تخلو من البداهة والمزاج والهزل في موضع الجحد . قيل ان انساناً من يهود برلين كان قد اهلوا فروض الديانة وطلبوا القصاص من رسومها فدعوا الربى بقويب المجد احد سكان دينو لعظيم وكان واعظاً مشهوراً فخطبهم بهذا المثل قال

بعثت الحكومة رجلاً يفتحص احوال العاملين في المعادن والمسايك قرآهم عجايف الابدان صفر الوجوه فسأل عن ذلك فقال له رؤسائهم انهم صاروا نحاقاً من شدة ما يلاقونه من العناء في فتح النار بافواههم . فعجب الرجل من هذا وقال ألا تعلمون انه توجد منافع لنخ

النار واضرارها فقالوا اننا لم نسمع بذلك من قبل فقال اذن سارسل لكم ما يكفي من هذه المنافع وفعل كما قال . ثم زارهم بعد شهر من الزمان فرآهم أضعف مما رآهم أولاً فقال ما هو امركم ألم تصل المنافع التي ارسلتها لكم فقالوا وصلت وقد مضى علينا شهر ونحن نتفخ بها فلم تشعل النار . فاسرع من ساعته الى الاكوار فوجدها مملوءة بالخطب ولا نار فيها فقال لم ما فعلتم ايها الحمقى وما هي فائدة المنافع ان لم توجد النار اولاً . ثم التفت الواعظ الى الساميين وقال اعلموا ايها الاخوان ان الروعظ كالمنافع فهو يزيد اضطراب نار الايمان اذا كانت موجودة في القلوب واما اذا لم يكن في قلوبكم نار الايمان فلا يجدي الروعظ والارشاد شيئاً . فافادهم هذا امثله اكثر من ابلغ المواعظ

ودعي حرقبال لنسوا الى مدينة براغ ليكون حاضراً لليهود الذين فيها وكان شاباً حديث السن فلما جلس على المائدة مع جمهور من العظام وضعوا له كرسيّاً اعلى من كراسيهم فخارسته بعضهم وقال له أرى الكرسي عالياً بالنسبة اليك ايها الربيب فقال كلاً ولكن مائتكم واطنة بالنسبة اليّ

وكان مندلسهين من اكبر فلاسفة عصره واشدّهم تعجباً في عو بص المسائل ولكن ذلك لم يصرفه عن الهزل والمزاح . قيل انه كان يحب السكر وبأسف لانه لا يستطيع ان يجيّد بسكر آخر . وقال له بعضهم مرّة قالت الحكماء ان من يجب الخلو فهو احمق فقال نعم ولم يقولوا ذلك الا ليقى كل حلوه لهم . ولقيه احد القواد مرّة وقال له متبهكاً ما هو رأس مالك في التجارة فاجاب العفل الذي احركك الله منه

وسأل بعضهم الشاعر هابن الشهبز عن حاله وكان قد اصاب بهرض عصبي وقماتفخ المعرض العام بيار بس سنة ١٨٥٥ فاجابه ان اعصابي ستأخذ الجائزة الاولى في الالم . وطالع هابن جميع الكتب الطبيّة التي تبحث عن الامراض العصبيّة فقال له احد اصدقائي ما فائدة هذه المطالعة لك فقال قد اهلنتي لتقديم خطب في السماء على جهل الاطباء . وقال بعضهم لصنير الكاتب الجزائري المشهور انك تكتب لاجل المال وانا اكتب لاجل الشهرة فقال وكل منا يطلب ما ينقصه . وكان ملك بافاريا يدعي الشعر وصنير يهزأ به فنفاه من مملكته وامرّه ان يخرج من حدود المملكة كلها في اربع وعشرين ساعة فقبل له أن تستطيع ذلك فقال اذا لم تكنني قدماي استعرت من الاقدام الثلاثة في شعر الملك (ويراد بالاقدام عندهم التناعل)

وقال صنير هذا ان من الببّة وجود المال عند الاغنياء فلو كان عند الفقراء لا عندهم

لوجدتهم احقر خلق الله . وقال ايضاً الدرهم خفت معدني تحت اقدام الصغار يطولون به
ويصيرون كباراً

ومرّ يهودي بحكمة من محاكم روسيا فرأى فقال العدل منصوباً امامها فقال لاحد
الوقوف فقال من هذا قال هذا فقال العدل فقال اليهودي كذا ظننت لانه خارج الحكمة
لا داخلها . وقال آخر لطيبه وكان يكثر من عيادته طمأً بماله ان الموت خير طبيب فقال
الطيب وكيف ذلك فقال لانه يعود المريض مرّة واحدة

وادب بعضهم نادبة جمعت من رهبان الكاثوليك وقسوس البروتستنت وحاخامي
اليهود فقال احد الرهبان لحاخام جالس بجانبه متى تشاركنا في هذا اللحم الفاخر (قال ذلك
مشيراً الى صحنه فيها لحم خنزير) فقال له الحاخام في عرسك ان شاء الله

وبعد ان اتى الحاخام ادل على هذه التذات والظرف وعلى كثير آخر مما اجتر باعته لضيق
المقام قال " ان كل ما تلوته على مسامعكم لم اجكر شيئاً بل نقلته عن غيري والي اعذر عن
ذلك بايراد القصة الآتية وهي ان النحلة والرتيلاء تناخرتا وكلّ منها تدعي انها افضل من
الآخري فقالت الرتيلاء للنحلة ان جناك منقول مجمعة كلة من ازهار الخنول واما انا فنجاني
منكرا تي و من عند نفسي . فقالت النحلة اصبت ولكنك تسجين بيوتاً يحفرها الناس
ويتزعمونها من منازلهم واما انا فاجني عملاً يستطيمونه وشعماً يستضبتون به . فقصي ان لا
يكون ما تلوته على مسامعكم مثل نسج المنكبوت بل مثل العمل الشهي "

هذا ولعل المربان والذنيق بين كانوا كالعرب واليهود في المزاج والبداهة . حدث
ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ما سرجويه الطيب البصري السرياني اذ اتاه رجل
من الخنزوز فقال بليت بدها لم يبل احد يثلو فمأله عن دائه فقال اصبح فبصري مظلم علي
وانا اصاب بثل لحس الكلاب في معدتي فلا تزال هته حالي الى ان اطعم شيئاً فاننا
اطعت سكن ما اجد الى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيه فاننا عاودت
الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ثم يعاودني فلا اجد له دواء الا معاودة الاكل .

فقال ما سرجويه هته صحة لا نستغنها اسأل الله قلها عنك الى من هو احق بها منك
ولم تزال يجالس الانس والطرب في مصر والشام والعراق عامرة بالادباء والظرفاء
يديرون على الجبالس كروس البداهة والمزاج فيسكرونهم بحميا المعاني وينتقونهم بحمر اليبان

